السِّراجُ المنير

وصف الله سبحانه وتعالى نبيّ الإسلام ﷺ بأنّه سراجٌ منيرٌ مشعٌ يُضيء طريق الحياة بنور العلم والبصيرة، فقال (جلّ وعلا): **«يا أيّها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً»**.

في القرآن الكريم، ذُكرت كلمة «السراج»أربع مراتٍ، ثلاثُ آياتٍ منها تحدّثت عن الشمس، والرابعة عن نبي الإسلام العظيم ﷺ؛ فهو أيضاً كالشمس المشعّة، يُزيل ظُلمات الجهل والشرك والكفر من أرواح وأنفس الناس.

فكما أنّ الظُلمة مصدر الوحشة والاضطراب، والنور باعثٌ على الطمأنينة والسكينة ونور الشمس سببٌ في نمو النبات، وزهو الأزهار، ونضوج الفاكهة وهو سبب كافّة الفعاليات الحيوية، كذلك فإنّ وجود النبي ﷺ منشأ السكينة، ونمو وتزكية روح الإيمان والأخلاق وأصل الحياة والحركة.

طريقُ الهداية

إنّ حياة وسلوك نبينا الرؤوف ﷺ، هما الطريق الصحيح للوصول إلى الله عزّ وجلّ. وقليلٌ ما نجد في التاريخ مثل النبي ﷺ لجهة تدوين سيرة حياته بهذا التفصيل والوضوح؛ حيث ذُكر كيف كان يأكل ويشرب، وما هي الأطعمة التي كان يحبها، وما نوع الترفيه الذي كان يمارسه، وقت وكيفية نومه، حروبه وغزواته، صلاته، نوع لباسه، اللون المفضل لديه، كيفية جلوسه ومشيه وحتى مُزاحه.

إنّ الله سبحانه قد انتجب النبي الأكرم ﷺ، واختاره وربّاه، وبعثه كي ينجّي النّاس من الضلالة والجهل والظلم والقبائح. والتعرّف على أساليب وسلوكيات حياة النبي ﷺ والعمل بها هو الطريق الصحيح في الحياة، ويوجب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة. وقد بيّن القرآن الكريم هذا الأمر بوضوح: **«الذين يتّبعون الرسول النبّيّ الأمّيّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون»**.

العطر المحمّدي

قطرةٌ من محيط النبي الأكرم ﷺ اللامحدود:

كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) لا يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده.

عندما كان يصافح رسول الله (صلى الله عليه وآله)أحداً، لم يكن ينزع يده من يده حتى يكون ذلك الشخص هو من ينزع يده أولاً؛ وإذا فاوضه أحدٌ في حاجةٍ أو حديثٍ، لم يكن ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف؛ ولم يُرَ مقدماً رجله بين يدي جليس له قط.

كان لا يدع ﷺ أحداً يمشي معه إذا كان راكباً، حتى يحمله معه؛ وإن رفض ذلك الشخص الركوب مع النبي ﷺ كان يقول: «تقدم أمامي وأدركني في المكان الذي تريد».

وما قعد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل قط فقام حتى يقوم.

وكان يسألُ النّاس عما في الناس، ليكون عارفاً بأحوالهم وشؤونهم.

وكان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زاره، وإن كان مريضاً عاده.

و كان ﷺ إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل.

وكان ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس، وكان أكثر ما يجلس مستقبلاً القبلة.

وكان التزحزح من خلق رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد روي أنه دخل على رسول الله شخص وهو في المسجد جالساً لوحده فتزحزح له الرسول. فقال له: في المكان سعة يا رسول الله. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس إليه أن يتزحزح له».

لم يخلف ﷺ وعده قط. يوماً واعد رجلاً إلى صخرةٍ؛ فظلّ عند الصخرة ينتظره حتى يرجع. فاشتدت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله، لو أنّك تحوّلت إلى الظل، فأجابهم: «وعدته هاهنا وإن لم يجئ كان منه الحشر».

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام؛ وحيثما مرّ ﷺ كانت تبقى رائحة طيبه حتى

بعد ذهابه، وكان يعلم الناس من رائحة الطيب أن النبي ﷺ كان في ذلك المكان.

وكان ﷺ يسمّي دوابه وسلاحه ومتاعه. مثلاً كان اسم رايته «العقاب»، وسيفه الذي يشهد به الحروب «ذا الفقار». وكان اسم قوسه «الكتوم»وجعبته «الكافور»والدرع الذي يلبسه «ذات الفضول». وكان اسم ناقته «القصوى»ويُقال لها: «العضباء»واسم بغلته»الدلدل». وكان اسم حماره «يعفور»واسم شاته التي يشرب لبنها «عينة».

وكان ﷺ يخصف النعل (يخرزها لإصلاحها) ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويطحن مع الخادم إذا أعيى (يعينه إذا تعب).

وكان ﷺ لا يحب لبس السواد إلا في ثلاثة: العمامة، والخف، والكساء.

وكان ﷺ لا يأكل الحار حتى يبرد ويقول: «إنّ الله لم يطعمنا ناراً، إنّ الطعام الحار غير ذي بركة فأبردوه».

وإذا جاء وقت الصلاة، لم يكن يؤثر على الصلاة عشاء ولا غيره، وكان إذا دخل وقتها كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً.

وكان يقول ﷺ لأصحابه: عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: «الدعاء».

وسأل (صلى الله عليه وسلم) أصحابه يوماً: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟»، قالوا: «وما حلاوة العبادة؟»، قال ﷺ: «التواضع». «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».